شهريـات

بقلم رئيس التحرير

١ ـ رسالة الى كاتب مصري

انني أدرك ـ يا صديقي ـ عمق مأساتك : أن تغمد قلمك وتصمت . أفهم ان تكـون سعيدا ، احيانا ، بأن تصمت ، حين تختـــار أنت الصمت . أما ان يلزموك بالصمت ، ان يصدروا قرارا بذلك ، فاني أفهم شقاءك وتعاستك .

انني أتمثلك جالسا الى طـــاولتك ، تحدّق في الورقة البيضاء ، وقلمك بين ابهامك وسبابتك ، متحرقا للتعبير عن أفكارك وأحاسيسك ، ولكن سرعان ما تفاجئك أصابعك بعجزها عن التحرك ، ويفـاجئك قلمك باصرار أسلته على الابتعاد عن الورقة ، كأنما هو يخشى أن يلطخ بسواده بياضها . ثم تدرك ان سبب ذلك كله انما هو رفض في سريرتك ، واع أو لا واع ، لكتـــابة ما سوف يبقى سجينا في ظلام أدراجك ، لا يذهب الى من هو مرصود لهم ولا تضيء به صفحات الصحف والمجلات في بلدك ، فاذا هو ، في نهاية المطاف ، حرف ميت لا جدوى فيه ، وانك لتأبى أن تسطر الحروف الميتة ...

بل لماذا تحاول ، يا عزيزي ، ان تتستر على باعث آخر يغريك بألا تكتب ، حين تفكر ان بامكانك ان تحتفظ بما يمكن ان تكتبـــه للمستقبل ؟ لماذا لا تصارح نفسك بأنك تخشى أن يداهموا يوما أوراقك ، فيعثروا فيهـا على وثيقة الادانة : انك كتبت ، وأنت ممنوع من الكتابة ؟ انك استعملت قلمك ، هذا الذي يفرض فيه انه محطم ؟

أجل ، يا صديقي ، اعترف بأنك تخشى ان تصبح كلماتك ، اذا كتبتها ، مادة جرمية تدفع بك الى السجن . اعترف بذلك ، ولا تخف ان يدينك أحد : فليس ما يبرر قبولك دخول السجن ، لا حبك للحرية ، ولا خشيتك عـــلى مصير ذويك ، ولا خوفك من أن تلقـــى ، داخل الزنزانة ، ألوانا من الذل والمهـــانة يأباها عليك حسك بالكرامة الانسانية .

انني أفهم مخاوفك هـــذه كلها أيها الصديق ، ولا يسعني ان اطالبك بالاستشهاد من اجل الحريـة ، اذا كانت ظروفك الموضوعية لا تشجعك على الشهادة : ان من أنبل خصائص الانسان أن يتكيف مع طاقته البشرية، لا أن يقسرها على ما لا قبل لها به ، والا وقع في بطولة زائفة تعود عليه بنقيض ما يتوق اليه .

ولكني أدعوك الى الصمود في موقفك ، فبالصمود وحده نستطيـــع ان نبرر ثقتنا بأنفسنا واحترامنـا لذواتنا .

أجل ، بلغتني أيها الصديق أنبـــاء تخاذل بعض الكتاب والصحفيين ، واكاد لا اصـــدق ما اسمع ... ولكني على يقين من ان الازمة النفسية التي سيعانونهـا من تخاذلهم ستنغص عليهم حيـاتهم أعمق التنغيص . ذلك ان انفراج بعض ضيق مادي يعانـــونه لن يجديهم فتيلا . انهم ، بمواقفهم الذليلة ، يكدرون نصاعة المواقف الشريفة التي وقفها رفاقهم في نضالهم من أجل الحريـة والديموقراطية . وستظل هذه لطخة سوداء تجثم على ضمائرهم وتجلب عليهم من العـــذاب ما لن يتحملوه طويــلا .

أما ما يراودك من أفكار الهجرة النهائية ، او حتى مغادرة بلدك موقتا الى بـلد عربي آخر ، فلست أراني متحمسا له . ذلك ان الهجرة النهائية مطلب أساسي من مطالب العدو الصهيوني ، لا سيما بالنسبة للمثقفين . وما تقوم به الجامعات والمؤسسات والمعاهد الاجنبية من الاغراءات لاجتذاب العقـــول العربية يدخل في هـذا المخطط ، اذ يرمي الى تبليد الذهن العربي بالرخاء المادي

الذي يستطيع في تماديه أن يقتل الهموم الوطنية والقومية .

واذا كان دافعك ، أيها الصديق ، لمغادرة بلدك الى بلد عربي آخر ، ايمانك بأنك قادر في البلد المضيف أن تنعم بحرية في التعبير تفتقدها في مسقط رأسك ، فان في هذا الايمان قسطا وافرا من الاوهام ... ذلك ان الحرية المطلوبة لا تعدو ان تكون مظهرا خارجيا ينكشف زيفه عند أول تجربة ! ولن تفتقر الى البراهين في تعاون الانظمة ، اذا ما وضعت على المحك ، لسلوك درب القمع والاضطهاد ، وان تذرعت بشتى الذرائع ...

حتى ولو فكرت بأن تنزل ضيفا على لبنان ، فلن تلبث طويلا حتى تتحقق من ان الحرية فيه تكاد تكون « حرية سلبية » بسبب القيود التي تجعل مجالها مرتهنا بكثير من الالتزامات والارتباطات الخانقة . خذ الصحافة مثلا ! فكم هو عدد الصحف المتحررة حقا ؟ كم صحيفة تجدها غير مرتبطة بهذا النظام أو ذاك من أنظمة الحكم العربية أو الاجنبية ؟ فأية ضمانة لك في ان تستطيع التعبير بحرية عن رأيك وأن تجهر بكلمتك ؟

أنت تعرف ، أيها العزيز ، ان « الآداب » ، بسبب من تحررها من أي نظام او جهة ، تعاني اليوم من حصار مضروب عليها لم يسبق لها ان عانت منه طوال العشرين عاما من عمرها . ولا ريب في ان الانظمة التي تضرب عليها هذا الحصار انما ترمي الى مفاقمة عجزها المادي حتى تضطرها الى الاحتجاب ، فتتنفس هذه الانظمة الصعداء باختناق صوت كان ارتفاعه يزعج تدابيرها الارهابية ... ولكن « الآداب » صامدة ، وسوف تستمد مزيدا من صمودها من صمودك أنت ورفاقك الشرفاء الذين نؤمن عميق الايمان انهم يتكاثرون ويتزايدون ، ليس في بلدك وحده ، بل في جميع أنحاء الوطن العربي الكبير .

ستصمد « الآداب » شهرا وشهرين وثلاثة ، وعاما وعامين وثلاثة ، وهي تؤمل أن تستطيع انت ورفاقك في بلدك ، وفي كل بلد عربي آخر ، ان تصمدوا كذلك لتنتصر الرسالة المشتركة : حرية الكلمة العربية .

٢ ـ الموت والصمت

كان قد أغلق دونه الباب ، وطلب من الموظف عنده ألا يسمح بدخول أحد عليه . كان يريد ان يخلو الى حزنه ، ألا يسمع انسانا يتكلم ، ان يفكر في توفيق وفي نفسه ، وفي الموت والحياة .

وكنت قد قضيت يومين أفكر فيه وفي توفيق ، فيمتلىء قلبي بحزن كبير أحسه يورثني ضيقا في الصدر لم أكن أدري كيف اصرفه . وتناثرت همومي ومشاغلي ، وظللت طوال هذين اليومين عاجزا عن تصريف اي عمل ، يزوروني الاصدقاء فلا يجدون مني الاهتمام فيتركونني وشأني الى موعد آخر .

وحين علمت انه عاد من لندن وأسرعت أطرق عليه بابه ، أدركت اني كنت انتظر عودته ذلك الانتظار المحرق الذي صرفني عن جميع شؤوني .

ولم يجد الموظف الجرأة على منعي من الدخول ، لما كان يعرف من علاقتي بصاحبه .

وكل ما فعلناه حين التقينا أن تعانقنا منخرطين في البكاء .

بكيت أنا ونزار قباني كطفلين . وارتفع صوت بكائنا ذات لحظة بالنحيب والانين .

ولم ننطق الا بعبارة واحدة ، قلناها في لحظة واحدة : راح توفيق !

ثم أخذت أربت على ظهر نزار حتى عاد الى الجلوس وهو يكفكف نحيبه ودموعه : كانت هي المرة الاولى التي أراه فيها يبكي ، فيبدو لي انسانا ضعيفا ، منهارا ، لا يقوى حتى على الوقوف . بدا لي وقد فقد رجولته .

بقيت الى جانبه عشر دقائق . ولست أدري هل تكلمنا عن توفيق بشفاهنا أم اننا تبادلنا حديثنا عنه صورا وذكريات .

كنت على أشد اليقين ان حاجته الى الصمت ، هو الذي ملأ الدنيا حبا وزهورا وأشعارا ، كانت في تلك اللحظة أمسّ من حاجته الى التنفس ، لايمانه بأن الصمت هو ألد عدو للموت . هو وحده قاهره .

وحين صافحت نزار قباني مودعا ، أيقنت ان هذا الصمت هو الذي ردّ اليه رجولته .

سهيل ادريس

عن سميرة عـزام

يرجو فخري احمد حسن جميع اصدقاء المرحومة سميرة عزام أن يزودوه بمعلوماتهم عن الفقيدة ، سواء منها ما يتعلق بحياتها الشخصية أو نشاطاتها الثقافية والوطنية أو انتاجها غير المنشور ، وذلك ليستعين بهذه المعلومات على معالجة موضوع الماجستير الذي يعده في جامعة القاهرة بعنوان « سميرة عزام ودورها في الأدب العربي الفلسطيني المعاصر » .

الرجاء الكتابة على العنوان التالي :
فخري احمد حسن ، ص.ب.(٦٢١) عمان ـ الاردن